المحاضرة الأولى
النثر العربي القديم

مفهوم النثر:

ينقسم الكلام إلى نوعين: المنظوم والمنثور، فهذا الأخير لا يخضع لوزن ولا لقافية. ولا يعتبر كل نثر أدبا، بل يجب أن يتضمن بين ثناياه على قوة التأثير في أفكار الناس وعزائمهم ولتحقق هذا الهدف يُعتمد أساسا على الكلام المتخيّر، الحسن الصياغة والتأليف. وبالتالي، فالكلام العادي المتداول بين الناس لا قيمة له في الدراسات الأدبية.

أنواع النثر:

الخَطابة، الوصايا، الأمثال والحكم، القصص، المقامة، الرسائل، أدب الرحلة، أدب التصوف....

1/فن الخطابة:

هي من أقدم الفنون النثرية، تعتمد على المشافهة أثناء مخاطبة الجماهير، بهدف إقناعهم وجذب انتباههم، وتحريك مشاعرهم، ولا يمكن للخطيب الوصول إلى تحقيق هدفه إلا عن طريق حسن الإلقاء وسعة الخيال والقدرة الفائقة على الخلق والابتكار والتجديد، إلى جانب توظيف لغة بليغة وذلك باختيار الكلمات الفصيحة المعبّرة عن المعنى، حيث يمكن للجمل أن تكون قصيرة أو طويلة تبعا للموضوع المتطرق إليه. وحتى يتحقق إقناع المستمعين يمكن للخطيب أن يضمّن كلامه أمثلة وشواهد، أو أدلة وبراهين يستعين بها لتحقيق هدفه.

أقسام الخُطبة :

تتكون الخطبة من مقدمة يفتتح بها الخطيب للدخول إلى الموضوع، ثم الموضوع المراد الحديث عنه، فالخاتمة التي ينهي بها خطبته.

أ/ الخَطابة في العصر الجاهلي:

يجمع النقاد على ضياع نثر العرب بسبب ضعف التدوين والاعتماد فقط على الذاكرة للحفظ، فالقليل من النماذج النثرية تمكّنت من الصمود وعدم الاندثار كخطب عامر بن الطفيل والمأمون الحارثي وهاني بن قبيصة وذو الأصبع العدواني وقس بن ساعدة الأيادي، وتنتمي النماذج الأخرى إلى بعض الأنواع النثرية التقليدية كالقصص والأمثال والحكم والوصايا، بينما الأنواع النثرية الأخرى، فقد تأخر ظهورها إلى ما بعد الفترة الجاهلية.

أنواع الخطب الجاهلية:

- **خطب الحرب:** تطغى فيها الحماسة، والهدف منها إشعال الحرب ضد الأعداء.
- **خطب الوعظ:** يعتمد فيها الخطيب على تجربته، محذرا القوم من بعض الأمور التي قد تؤدي إلى الضياع أو التهلكة.
- **خطب المنافرة** أو المفاخرة: يعبّر فيها الخطيب عن كرم الأصل ومحامد الخلق.
- **خطب الزواج:** كأن يصرح الخطيب بفضائل الخاطب أمام أهل الفتاة حتى يُقبَل، والرد يكون من قبل ولي أمرها بالقبول أو الرفض، وأحيانا تتضمن نصائح تقدم للبنت أو للخطيب.
- **خطب إصلاح ذات البين:** الهدف من ورائها هو إطفاء شعلة الخصام بين طرفين وتغليب العقل لجمع الشمل بينهما قبل أن تستفحل العداوة.
- **خطب التعزية والتهنئة.**

خصائص الخطب الجاهلية:

- **قصر الجمل:** حيث تكون فصيحة وبليغة.
- **عدم إتباع المنهج:** بإمكان الخطيب الدخول في الموضوع من دون مقدمة أو ينهي كلامه من دون خاتمة، فبعض الخطباء يلقون خطبهم وفق ما تقذفها خواطرهم.
- **الاستشهاد بالشعر.**
- **الصنعة اللفظية:** استخدام السجع.
- **قصر الخطب:** معان كثيرة في ألفاظ قليلة.
- **وضوح الأفكار وبساطتها** لأنها تخاطب العقل والقلب معا.

ب/ الخطابة في صدر الإسلام:

كان الشاعر في الجاهلية أعظم شأنا من الخطيب، لكن مع ظهور الإسلام انقلبت المعادلة وأضحى الخطيب أعلى منزلة من الشاعر، فالقرآن لم يتحدّث عنه على النحو الذي تناول فيه الشعراء، بل مثّل أحسن وسيلة لنشر الإسلام، في بيئة أغلب مواطنيها أميين. وساهم الإسلام في شيوع هذا الفن بحكم أنه فرضه في خطبتي الجمعة وخطبتي العيدين. ومع انتشار رقعة الدولة الإسلامية وكثرة الغزوات والحروب استخدمت الخطابة لتحفيز المجاهدين.

وكانت الخطب تتناول أيضا الدعوة إلى الإسلام والتوحيد وترك عبادة الأصنام إلى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد استعان الخطباء بشواهد من القرآن لدعم آرائهم. من أشهر الخطباء آنذاك نجد الرسول وخلفاءه خاصة الإمام علي، إلى جانب قادة الحروب والأمراء.